

ثغر أذنة

منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري

الحادي عشر الميلادي

إعداد

أ. د. عبد الله بن سعيد الغامدي

جامعة أم القرى

ثغر أذنة

منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي

أ. د. عبد الله بن سعيد الغامدي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.. وبعد.

أذنة Adana بفتح أوله وثانيه^(١). ويسمى ابن خرداذبه أذانم^(٢). مسماة باسم الذي أنشأها، وهو أذنة بن يافث بن نوح عليه السلام، فقد ذكر ابن العديم أنه وقع إليه كتاب في القاهرة، عن أنساب أهل اليمن وملوكها، جاء فيه أن معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه، أتى إليه بشيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، اسمه عبيد بن شريه الجرهمي، فسأله معاوية عن مسائل عدة، إلى أن ذكر له أن يافث بن نوح عليه السلام سبعة من الولد هم "جومر وماجوج وماذي وياوان وثوبان وماشج وتيراس، وأن ياوان، ولد إلياس والمصيصة وطرسون وأذنه". فعرفت هذه المدن بأسمائهم على تخوم بلاد الروم "الذين هم من ولد هؤلاء"^(٣).

وصفت أذنة، بأنها مدينة قديمة "من بناء الروم" على اثني عشر ميلاً من المصيصة وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلاً، لها ثمانية أبواب، وسور، وخذق، تطل على الشاطئ الغربي لنهر سيحان، وقد أُقيم عليه قنطرة حجارة عجيبة البناء، يبلغ طولها مائة ونيف وتسعين ذراعاً، على نطاق واحد، تربط بين المدينة وبين حصن مما يلي المصيصة، وهو شبيه بالربض^(٤)، ويرجع بناء القنطرة إلى عهد الإمبراطور البيزنطي الأول جستنيان الأول (527-565 Justinianم)^(٥).

ولموقع أذنة أهمية عسكرية كبرى - رغم صغر حجمها آنذاك، إذ كانت مثل أحد جانب المصيصة^(٦)، لكونها ثغراً برياً حصيناً على الحدود الشمالية لبلاد الشام المتاخمة لأراضي الإمبراطورية البيزنطية، ناهيك عن كونها - تشرف مع غيرها من مدن الثغور الشامية الأخرى - على المعبر التجاري البري الذي يربط بين مدن الشام وأراضي آسيا الصغرى، ولهذا حظيت أذنة باهتمام وعناية الفاتحين المسلمين الأوائل، الذين وقروا في أذهانهم أنه كما دانت لهم المدائن عاصمة دولة الفرس الساسانيين، فلا بد وأن تُفتح القسطنطينية عاصمة دولة الروم البيزنطيين^(٧). ولما كانت مدن الثغور هي المعبر البري إلى هذا الهدف، فقد أهتم المسلمون بفتحها، ورغم أن المصادر التي تيسر للباحث الاطلاع عليها لم تشر صراحة إلى تاريخ محدد لفتح أذنة، فيبدو أنها فُتحت خلال الربع الأول من القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي، في خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك رحمه الله، يُعضد ذلك ما ذكره البلاذري من أن الجسر الذي "على طريق أذنة من المصيصة" بُنى سنة ١٢٥هـ / ٧٤٢م وأطلق عليه جسر الوليد^(٨).

ويبدو أن اهتمام الأمويين بإعمار أذنة اقتصر على هذا العمل، ولعل ذلك يعود إلى وقوعها في الطريق بين طرسوس التي فتحت سنة ٥٣هـ / ٦٧٢م^(٩)، والمصيصة سنة ٨٤هـ / ٧٠٣م^(١٠)، ناهيك عن قصر المدة ما بين فتحها وسقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م.

وعندما آل أمر المسلمين إلى البيت العباسي سنة ١٣٢هـ / ٧٤٩م، أولى خلفاؤهم مناطق الثغور الشامية جل اهتمامهم وفي مقدمتها ثغر أذنة، ففي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور رحمه الله (١٣٦-١٥٨هـ / ٧٥٤-٧٧٥م) أعيد بناء أذنة وذلك خلال سنتي ١٤١-١٤٢هـ / ٧٥٨-٧٥٩م، وذلك جراء الزلازل التي ضربت المنطقة آنذاك، مستغلاً تواجد أعداداً كبيرة من أهل خراسان كانوا يعسكرون بها مع

مسلمة بن يحيى البجلي، ناهيك عن جموع أخرى من أهل الشام بزعامة مالك بن أدهم الباهلي. كان القائد صالح بن علي قد وجههم إليها. ثم جرد المنصور جيشاً بقيادة صالح بن علي لغزو بلاد الروم، وبعد أن أثخن في بلادهم، وجه هلال بن ضغيم في جماعة كبيرة من أهل دمشق والأردن إلى ناحية أذنة فبنوا بها قصراً عند جسرهما الذي على نهر سيحان^(١١).

وعندما توفي المنصور وخلفه ابنه المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥) استغل تدهور الأحوال الداخلية في بيزنطة، بسبب تفاقم النزاع بين محطمي الأيقونات (Icons)^(١٢)، والمدافعين عنها، عندما سيطرت الإمبراطورة إيرين على مقاليد السلطة في القسطنطينية كوصية على ابنها القاصر قسطنطين السادس (٧٨٠-٧٩٠م)^(١٣)، وجرّد في سنة ١٥٦-٧٨١م جيشاً لغزو أراضي بيزنطة في آسيا الصغرى، أسند قيادته إلى ابنه هارون الرشيد والذي توغل به في عمق أراضي آسيا الصغرى حتى شارف على "خليج البحر الذي على القسطنطينية" - على حد تعبير الطبري^(١٤)، واستطاع أن يجبر إيرين على عقد هدنة، التزمت بموجبها بدفع جزية سنوية تُحمل إلى بغداد، وفي طريق عودته عرّج على مدن الثغور الشامية حيث تفقد أسوار المصيصة وأبنيتها وأعاد ترميمها^(١٥)، كما شملت جولته التفقدية هذه أذنة، فرأى أن ذلك القصر الذي كان قد بُني بها، لم يكن بناؤه محكماً، فهدمه وأعاد بناءه من جديد على أسس سليمة، ورحل عن مدن الثغور بعد أن شحنها بالرجال للمرابطة بها وقوى أهلها بالعتاد والزاد، لمواجهة أي اعتداءات بيزنطية عليها، ولكي يتسنى له الاستعانة بهم في حال معاودته غزو أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى^(١٦).

وبالفعل فما إن اعتلى هارون الرشيد سدة الخلافة في بغداد، حتى بلغه أن الروم البيزنطيين "اتّمروا بينهم" سنة ١٧١هـ/ ٧٨٧م، لمهاجمة كبرى مدن الثغور الشامية طرسوس، فتصدت لهم قواته بقيادة هرثمة بن أعين^(١٧)، والذي لا شك فيه

أن تلك القوات التي كان الرشيد قد استبقاها بالمصيصة وأذنة قد شاركت قوات هرثمة مسئولية الدفاع عن طرسوس، كما أسهمت - على ما يبدو - بنصيب وافر في حركة الجهاد ضد البيزنطيين في مناطق الثغور وجنوب آسيا الصغرى، عندما أوعز هارون الرشيد إلى ابنه القاسم بدخول بلاد الروم على رأس ثلثة من عسكره وذلك في شعبان من سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٢م، فأناخ على قرة وفرض عليها حصاراً محكماً أشرف عليه بنفسه، ووجه العباس بن جعفر بن محمد بن الأشعث إلى حصن سنان، فحاصر من به من الروم البيزنطيين، حتى جَهِدوا، فصالحه أهلها على أن يذلوا له ٣٢٠ رجلاً من أسرى المسلمين، فأجابهم ورحل^(١٨). وقد لا نعدوا الحقيقة إذا ما أكدنا أن أهل هذه المدن ومنها أذنة قد خرجوا أيضاً بعد ذلك في ركاب الحملة التأديبية التي قادها الرشيد بنفسه لعشر بقين من رجب من السنة ذاتها بعد أن لبس قلنسوة كتب عليها "غاز حاج" وسار حتى بلغ هرقله "ففتح وغنم، واصطفى وأفاد" وأجبر نقفور على طلب الموادة على خراج يؤديه في كل سنة، وذلك عندما كتب إليه الإمبراطور نقفور الأول (802-811م) Nicephorus I) يخبره بإلغاء الهدنة التي عُقدت بين الخليفة وإيرين، ويطلب منه إعادة الأموال التي دفعتها إيرين للخلافة العباسية^(١٩).

والذي لا شك فيه أنه عندما تنصل نقفور من تعهداته، وعاود الرشيد هجومه على أقاليم بيزنطة، شارك أهل أذنة وغيرهم من سكان مدن الثغور في هذه الحملة، حيث شخص إليها لعشر بقين من رجب من سنة ١٩٠هـ/ ٨٠٦م، بعد أن لبس قلنسوة كتب عليها "غاز حاج" على رأس جيش كبير قوامه ١٣٥ ألف مقاتل، ففتح هرقله وطوانه وغيرهما، وبث سراياه في سائر الجهات، حتى أدرك نقفور بأنه لا قبل له بمواجهة الرشيد فبعث إليه بالخراج الجزية^(٢٠).

ويبدو أن تزايد الحاجة للدور الذي كانت تقوم به مدن الثغور الشامية - ومنها أذنة - لدعم غزوات جيوش الخلافة التي كانت تترى على أقاليم بيزنطة في آسيا

الصغرى، جعلت الخليفة الأمين يُعيد النظر في بنائها وكافة تحصيناتها، ناهيك عن حال الرجال المرابطين بها وذلك غداة وفاة والده سنة ١٩٣هـ/ ٨٠٨م يُزكى ما ذكره البلاذري من أن محمداً أمر أبا سليم بن فرج الخادم- الذي كان والده هارون قد استعمله على "أعشار الثغور" فأقره على منصبه- بتفقد أحوال مدينة أذنة "فأحكم بناءها وحصنها، وزاد في شحنها بالمرابطين بأن ندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم، ورغبهم في البقاء بأن زاد في أعطياتهم وذلك في سنة ١٩٤هـ/ ٨٠٩م^(٢١).

وعندما أغار الإمبراطور البيزنطي ثيوفيل (829-842) Theophilus م) على ثغري المصيصة وطرسوس سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م، وقتل ألفاً وستمئة نفس من سكانهما، خرج الخليفة العباسي المأمون (١٩٨-٢١٨/ ٨١٣-٨٣٣م)، في ١٩ جمادي الأولى / ٢ يولية من السنة نفسها، للرد على هذا الهجوم، وأقام معسكره في مدينة أذنة التي ذكر ابن العديم بأنها كانت تضم بين جنباتها آنذاك "منازل ولاة الثغور لستعها"^(٢٢). حيث استقبل بها رسل الإمبراطور ثيوفيل، الذين جاءوا يعرضون عليه عقد هدنة بين الطرفين أمدها خمس سنين، على أن يدفع البيزنطيون للمسلمين جزية قدرها مائة ألف دينار.. وأن يطلق الإمبراطور سراح خمسمائة رجل من أسرى المسلمين مقابل أن يعيد المأمون ما أفتتحه من المدن والحصون البيزنطية، إلا أن المأمون رفض ذلك العرض وخرج من أذنة على رأس قواته، وجاس بها خلال الديار البيزنطية داخل آسيا الصغرى، ونجح في فتح عدد من أقاليمها، كما وجه أخاه أبا إسحاق للغزو، فأفتتح ثلاثين حصناً، وفي الوقت ذاته أصدر أوامره إلى قائده يحيى بن أكثم، بأن يخرج من طوانة على رأس ثلثة من الجيش، فأغار بهم على عدد من المعاقل البيزنطية، حيث غنم وأصاب سبياً ثم رجع، أما المأمون فقد تقدم بقواته إلى كيسوم، فأقام بها "يومين أو ثلاثة" حيث اضطر في شعبان من السنة ذاتها للعودة إلى دمشق، ومنها إلى مصر لإخماد فتنة نشبت بها^(٢٣).

ويبدو أن المأمون قد استبقى بعضاً من قواته بمدينة أذنة، وأنه كان ينوي العودة إليها، بعد فراغه من إخماد تلك الفتنة، ليعيد بها تنظيم قواته استعداداً لمواصلة الغزو. يدلنا على ذلك ما ذكر من أن المأمون عاد إلى أذنة سنة ٢١٧هـ / ٨٣٢م، حيث أمر أبان إقامته فيها، بإعدام اثنين من خصومه وهما "علي وحسين ابني هشام" لمخالفات صدرت عنهما وذلك في يوم الأربعاء ١٦ جمادى الأولى من السنة نفسها، ثم شخص منها لغزو أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى، فكانت وجهته إلى قلعة لؤلؤة، حيث حاصرها لمدة مائة يوم، ثم رحل عنها - بعد أن أوكل مهمة استمرار حصارها إلى أحد قواده يدعى عجيفاً، فاخذعه أهلها وأسروه "ولكنهم أطلقوا سراحه بعد ثمانية، فغضب ثيوفيل واتجه بقواته إلى عجيف وقواته، صرف إليه ثلثة من جنده، إلا أن ثيوفيل رحل عنها قبل موافاتهم، وخرج أهل لؤلؤة إلى عجيف وسلموها إليه بأمان^(٢٤).

ويبدو أن المأمون عاد بعد ذلك إلى أذنه بعد أن أثنى مع قواته في بلاد الروم، ليستقبل بها رسل الإمبراطور ثيوفيل، الذين حملوا إليه رسالة، يطلب الصلح وعرض الفدية "ليرد عليه المأمون بكتاب تضمن دعوة ثيوفيل إلى إعتناق الإسلام أو دفع فدية" تُوجب ذمة^(٢٥).

وعندما اهتبل ثيوفيل فرصة وفاة الخليفة المأمون في ١٧ رجب من سنة ٢١٨هـ / أغسطس ٨٣٣م^(٢٦)، وأغار في سنة ٢٢٣هـ / ٨٣٨م على زبطرة وملطية وغيرهما، وقتل عدداً من الرجال وسبى الذراري والنساء. وأعلن الخليفة المعتصم بالله (٢١٨-٢٢٧هـ / ٨٣٣-٨٤٢م) النفير العام للجهاد "خرج أهل ثغور الشام"^(٢٧)، - ومنهم بطبيعة الحال سكان أذنه - في ركاب جيش الخلافة الذي قاده المعتصم بنفسه وتوغل به في آسيا الصغرى، وتوج انتصاراته بفتح مدينة عمورية، مسقط رأس ثيوفيل، والتي وصفت بأنها "عين النصرانية وبنكها"^(٢٨).

وعندما شهد عهد الواصل بالله - الذي تولى الخلافة يوم وفاة أبيه المعتصم في ١٨ من ربيع الأول سنة ٢٢٧هـ / ٨٤١م - توقف الصدام العسكري بين المسلمين والبيزنطيين " ولم يقع أيامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر ^(٢٩). تحولت مدينة أذنة مع جاراتها - كما يظهر للباحث - ابتداءً من سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م، إلى مراكز لاستقبال وفود الطرفين، لإجراء مفاوضات الفداء وتبادل الأسرى، يزكى ذلك ما ذكره ابن الأثير من أن الواصل، ولى على الثغور أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي " وأمره بحضور الفداء ^(٣٠). ناهيك أن لغة المصادر شهدت اختفاء بعض المصطلحات الدالة على الصراع المسلح مثل "غزاً" أو "أغزى" أو "شخص" أو "أغار" ونحوها، وحل محلها عبارات "فداء" أو "مفاداة" أو "فدى" وغيرها ^(٣١). فقد أشارت المصادر إلى أن أعداداً كبيرة من الأسرى شملها الفداء بين المعسكرين، وأوصلت من تم فداؤه من أسرى المسلمين سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م، إلى أربعة آلاف ونيّف، شمل الرجال والنساء والصبيان ^(٣٢).

والواقع أن توقف عمليات الغزو التي كانت تضطلع بها الخلافة العباسية ضد أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى - والذي كان يتم في الغالب عن طريق مدن الثغور - بسبب تفاقم المشكلات الداخلية زمن الخليفة الواصل. وتزامن ذلك مع انغماس البيزنطيين في برائن الحركة اللاأيقونية من جديد، عشية وفاة الإمبراطور ثيوفيل اللاأيقوني، وتولى ابنه القاصر ميخائيل الثالث (842-867م) Michael III المعروف بالسكير، مقاليد السلطة في القسطنطينية تحت وصاية أمه ثيودورا Theodora، الشهيرة بأيقونيتها ^(٣٣). كل هذا دفع ولاة الثغور الشامية إلى الإستقلال بحكم مدنها، مستغلين ذلك الإسترخاء النسبي ^(٣٤). للعمليات الحربية التي سادت المعسكرين الإسلامي والبيزنطي في المنطقة. واستمروا على ذلك حتى نجح أحمد بن طولون (٢٥٤-٢٧٠هـ / ٨٦٨-٨٨٤م)، في بسط نفوذه على بلاد الشام، حيث كتب

إليه الخليفة المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ / ٨٧٠-٨٩٢م) يفوض إليه "أمر الثغور" وذلك في سنة ٢٦٣هـ / ٨٧٦م^(٣٥).

وفي السنة التالية شرع ابن طولون في تسيير الغارات على أقاليم بيزنطة، حيث غزا بالصائفة في هذه السنة، عبد الله بن رشيد بن كاوس في أربعين ألفاً من أهل الثغور الشامية "فأثخن في بلاد الروم وعاد محملاً بالغنائم، وفي طريق عودته باغته بطريق سلوقية، بأن خرج عليه ومعه جموعاً غفيرة من عسكر الروم، وأحاطوا بعسكر المسلمين، ودارت بين الطرفين معركة عنيفة بالقرب من عين البندندون، انتهت بهزيمة جيش عبد الله، حيث تمكنوا من أسره وحمله إلى القسطنطينية، وقد شجع هذا النصر عساكر بيزنطة على مهاجمة مدينة أذنة التي كانت آنذاك مقراً لوالي الثغور، وألحقوا بها خسائر فادحة في الممتلكات والأرواح، وعادوا عنها محمليين بالغنائم والأسرى وعلى رأسهم "والي الثغور" ^(٣٦).

والواقع أن هذه الحملة التي شنها الروم البيزنطيون على مدينة أذنة، لم تفت في عضد ابن طولون، وتمنعه من مواصلة الجهاد ضد البيزنطيين في آسيا الصغرى، ففي سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١م غزا بالصائفة عامله على الثغور الشامية خلف الفرغاني "فأثخن ورجع" ^(٣٧).

ويبدو أن هذا النجاح الذي تحقق على يد هذا الوالي قد توقف بعض الوقت، وذلك قاد "يازمان" مولى الفتح بن خاقان حملة تمرد بمدن الثغور الشامية، مستغلاً - على ما يبدو - غياب عامل ابن طولون خلف عنها، ولمواجهة هذا التمرد أصدر ابن طولون أوامره على خلف لإخماد هذه الفتنة، حيث دخل خلف إقليم الثغور على رأس جيش كبير، وذلك في ربيع الأول من سنة ٢٦٩هـ / ٨٨٢م، وقبض على يازمان وحبسه، فوثب جماعة من أهل طرسوس بخلف وخلصوا يازمان، وأجبروا خلفاً على

الهرب، وتركوا الدعاء لابن طولون، ولعنوه على المنابر. وبلغ ذلك ابن طولون، فخرج من مصر، وعرج على دمشق ومنها توجه إلى مدن الثغور الشامية ونزل المصيصة فأقام بها وكاتب يا زمان وراسله "بالشيوخ" يدعوه إلى الطاعة وترك المشاقفة، والانقياد إلى أمره، وبذل له الأمان وخيَّره بين الخروج منها سالماً، ويُميت أسباب الفتنة، أو أن يقيم عليها من قبله أحد غلمانه، ولم يجبه إلى واحد منهما، فترك ابن طولون المصيصة، وتقدم خطوة صوب طرسوس التي يتحصن بها يازمان، حيث دخل أذنة، وكاتبه مرة أخرى في محاولة منه للضغط عليه علّه يرعوى عما هو عليه، وعندما أصر على تمرده، زحف ابن طولون على طرسوس، ونصب منجنيقاته وعراداته على نهر "البرادان"^(٣٨). فرحل ابن طولون عنها ليلاً بعد أن غرق المرج وما حول المدينة المضارب والخيم وكل ما في المعسكر وعاد بعسكره إلى أذنة حيث بعث إلى يازمان كتاباً حقره فيه، وبين له أسباب عدم استمراره في مهاجمة طرسوس جاء فيه "أما والله أيها الناقص الأنذل، لولا إرادة إبقائي على ثغور المسلمين، وكراهي أن أفتح عليها للعدو معرفة تكون سبباً لهلاكها، لعلمت أن مثلك لا يقاوم غلاماً من غلماني ولا يعشره، فلما انتصرت بما فتحته فغرقت به ما لا يمكن دفعه إلا بما فيه هلاك الثغر انصرفت كافاً يدي، محافظاً لله عز وجل ولجماعة ساكني الثغر، لا محافظة لك ولا عجزاً عن حملتك الضعيفة والسلاح".

وأقام ابن طولون بأذنه بعض الوقت، ثم رحل إلى المصيصة، بعد أن اشتد البرد على رجاله، وفيها اجتمع عليه وجوه قواده وكبار أصحابه، ونصحوه بالبقاء في المصيصة حتى خروج موسم البرد ومن ثم معاودة الهجوم على طرسوس، وإنهاء تمرد يازمان بها، فرد عليهم بقوله "والله لا يراني الله عز وجل وأنا أجهز جيشاً لمحاربة طرسوس إذ كانت سكن الإسلام" وأقام بالمصيصة ثلاثة أيام، ثم تراجع إلى أنطاكية بعد أن نالته علة من البرد، ومنها إلى دمشق ثم مصر بعد أن زادت علته^(٣٩).

وبعد رحيل ابن طولون عن مدن الثغور الشامية، اضطلع يازمان بمهام الدفاع عن هذه المدن وذلك بصد غارات بيزنطة عليها، ناهيك عن قيامه بقيادة الحملات التي كانت تخرج من هذه المدن لغزو بعض إقليم بيزنطة في عمق آسيا الصغرى. من ذلك ما حدث سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٣م عندما زحف على الثغور الشامية جيش بيزنطي قوامه مائة ألف مقاتل، فخرج إليهم يازمان بعد أن دعا إلى النفير العام للجهاد في كافة مدن الثغور الشامية - ومنها أذنة - والتقى بهم على المنطقة، وعاد إلى مقر إقامته محملاً بالغنائم، بعد أن أثنخ فيهم قتلاً وأسراً.

وكرر غزوه لأقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى في سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٦م حيث غزا بالصائفة وجاس خلال الديار " وقتل وغنم وأسروسي وعاد إلى طرسوس" (٤٠).

ولكن تلك الفجوة بين الطولونيين و يازمان ما لبثت أن انتهت منذ سنة ٢٧٧هـ / ٨٩٠م، حيث وافق يازمان على الدعاء لخمارويه بن أحمد بن طولون بمدن الثغور الشامية وذلك أن خمارويه نجح في استمالة يازمان وتطبيب خاطره بأن وجه إليه " قبل الدعاء له " ثلاثين ألف دينار لينفقها في سبيل الله إضافة إلى سلاح كثير ومائة وخمسين دابة، فضلاً عن هدية خاصة. وعندما دُعي لخمارويه على منابر مدن الثغور الشامية بما فيها أذنة، وغدا يازمان اسماً تابعاً له - كما يبدو للباحث - زاده خمارويه ألف دينار أخرى (٤١).

والذي يهمننا أن والي الثغور الشامية يازمان استمر يقود سكان مدنه لغزو أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى حتى وافته المنية سنة ٢٨٧هـ / ٨٩١م، يزكى هذا ما ذكر من أن يازمان غزا بالصائفة في شهر جمادى الآخرة من هذه السنة وبلغ حصن " سلندو" (٤٢). فأصابته شظية من حجر منجنيق في أضلاعه، فارتحل عنه بعد أن أوشك على فتحه، فتوفى في الطريق لأربع عشرة ليلة خلت من رجب، وحُمل إلى طرسوس على أكتاف الرجال فدفن بها (٤٣).

وبوفاة يازمان خفت وطأة حركة الجهاد ضد البيزنطيين بعض الوقت، بسبب الخلف الذي جرى بين الطولونيين ونوابهم على مدن الثغور الشامية، فقد ذكر أنه لما توفي يازمان خلفه "ابن عجيف" وكتب إلى خمارويه يخبره بموته فأقره عليها، وأمدّه بالخيال والسلاح والذخائر وغيرها، وهذا الإجراء يؤكد ما ذهب إليه الباحث من أن تبعية نواب الثغور للطولونيين لا تعدو كونها مجرد تبعية إسمية، ومما يُعضد هذا أن خمارويه عندما أقدم على عزل ابن عجيف واستعمل على الثغور ابن عمه محمد بن موسى بن طولون، ثار أهل الثغور وفي مقدمتهم أهل طرسوس التي كان يقيم بها الوالي الجديد وقبضوا عليه، ولم يطلقوا سراحه إلا بعد أن أذن خمارويه لشخص يُدعى "راغباً" - كان اختار الجهاد ضد الروم البيزنطيين، إلا أنه فضل أن يستبق عمله هذا بزيارة لخمارويه بدمشق" ويعرفه عزمه "فطال مقامه عنده فظن الناس بمدن الثغور أنه قبض عليه - بالذهاب إلى طرسوس. فلما اطلقوا سراح محمد بن موسى، قال لهم " قبح الله جواركم" وترك طرسوس وغيرها من بلاد الثغور لواليتها السابق ابن عجيف^(٤٤).

وعندما فرض الإخشيدون سيطرتهم على بلاد الشام، خضعت أذنة مع غيرها من مدن الثغور الشامية لسلطتهم إسمياً لبعض الوقت، وذلك - على ما يبدو - خلال عهد السلطان محمد بن طنجج الإخشيد. يدلنا على ذلك ما أشار إليه البعض من أن والي الثغور آنذاك نصر الثملي - الذي اضطلع بمهام صد هجمات القائد البيزنطي حنا كوركاس على بلاد الثغور إبان انشغال سيف الدولة الحمداني ببعض المشكلات مع الخلافة العباسية في بغداد - كان يعترف بالتبعية الاسمية لسلطة الإخشيديين في مصر^(٤٥).

ويبدو أن شعور نصر الثملي أن سيف الدولة لن يسمح باستمرار نفوذ الإخشيد في المنطقة، هو الذي دفعه إلى الاكتفاء بمجرد التبعية الاسمية لهم. يعضد هذا

أنه ما إن علم نبأ تغلب سيف الدولة الحمداني على الإخشيديين في شمال الشام سنة ٣٣٣هـ/ ٩٤٤م^(٤٦). حتى سارع إلى مكاتبة سيف الدولة يُعلن تبعيته له حيث أقام الدعوة له على منابر الثغور من غير "أداء مال عن شيء مما بيده من الأعمال.."^(٤٧). وقبول ذلك بترحيب من سيف الدولة حيث أرسل إلى نصر وأهل الثغور "الخلع والذهب" ومبلغاً كبيراً من المال لفداء من كان قد وقع في أسر البيزنطيين من أهل الثغور^(٤٨).

غدت أذنة وغيرها من مدن الثغور الشامية محل اهتمام سيف الدولة، يوليها عنايته ولا يولي عليها إلا القادة الشجعان والراغبين منهم في الجهاد" وكفى المسلمين أمر الروم، واعتنق حربهم، فاقتنع بذلك، وكان له مع الروم نحواً من أربعين وقعة وقعت له وعليه و كان بعيد المهمة صادق العزيمة شجاعاً يلقي الأمور بنفسه" قال عنه القائد البيزنطي في آسيا الصغرى الذي كان يطلق عليه لقب الدمستق بلينا بأمر "خفيف الركاب"^(٤٩). وعادت أذنة مع غيرها من مدن الثغور إلى سابق عهدها تقوم بدور فاعل في خدمة حدود الدولة الإسلامية المتاخمة لدولة الروم البيزنطيين، وفي ذات الوقت حرص أباطرة بيزنطة على تزويد أقاليمهم في آسيا الصغرى وبالذات ما كان منها في متناول مجاهدي الثغور بقواد أشداء ممن لهم خبرة بأساليب القتال التي كان ينتهجها أهل الثغور، يزكى ذلك ما ذكره ياقوت عند وصفه لمدن الثغور الشامية "طرسوس وأذنه والمصيصة وما ينضاف إليها" وأنها كانت تحظى باهتمام كبير من قبل الحكام المسلمين منذ حركة الفتح الإسلامية إلا أنه عندما آل أمرها إلى الأمير سيف الدولة الحمداني "أثفق أن قابله من الروم ملوك أجلاذ ورجال أولو بأس وجلاد وبصيرة بالحرب والدين شداد" وقد قابل ذلك بعزيمة الرجال وشعور المجاهد الذي يسعى لنيل إحدى الحسينين إما النصر أو الشهادة" فصمد للغزو وأمعن في بلادهم^(٥٠).

وعليه يمكننا القول أن أهل أذنة أسهموا مع غيرهم من مدن الثغور الشامية الأخرى، بدور فاعل في الحملات العسكرية الخاطفة التي شنها سيف الدولة على أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى، مستخدماً أسلوب الكر والفر، والتي كانت في ذات الوقت بمثابة صخرة صماء تحطمت عليها هجمات بيزنطة على هذه المدن، لمدة امتدت قرابة عشر سنين (٣٣٣-٣٤٣هـ/ ٩٤٤-٩٥٤م) لدرجة استحق بها سيف الدولة أن ينعى بـ "حامي الثغور الإسلامية"^(٥١).

ويبدو أن هذه الهيمنة التي تحققت لسيف الدولة على مناطق الثغور، قد دفعت البيزنطيين إلى خطب وده دون الخلافة العباسية، مستخدمين في ذلك أهل أذنة وغيرها من مدن الثغور الشامية الذين كان لسيف الدولة حضوة عندهم. فقد ذكر الأزدي أنه ورد على سيف الدولة بمقر إقامته بمدينة حلب سنة ٣٤٤هـ/ ٩٤٥م، وقد ضم عدد من فرسانها، يرافقهم رسول الإمبراطور البيزنطي قسطنطين السابع "بورفير وجينيتوس (301-347)" (Prophyrogenetos/ ٩١٣هـ-٩٥٩م) في طلب الهدنة منه، حيث استقبلهم سيف الدولة بحضرة جمع غفير من كبار رجال دولته، واستطال عليهم بأن أوعز إلى شاعره أبي الطيب المتنبّي أن يرتجل قصيدة بحضرتهم، اشتملت على كثير من عبارات التهكم والتحقير للإمبراطور البيزنطي جاء فيها:

أراع كذا كل الأنام همام	وسح له رسل الملوك غمام
ودانت له الدنيا فأصبح جالسا	وأيامها فيما يريد قيام
تنام لديك الرسل أمناً وغبطة	وأجفان رب الرسل ليس تنام ^(٥٢)

ويبدو أن هذه الوفادة لم تجد أذناً صاغية من سيف الدولة، فقد بادر في السنة التالية، وهي سنة ٣٤٥هـ/ ٩٤٦م، بشن غارة على أقاليم بيزنطة في المنطقة "ووطى من أرض الروم موطاً لم يطأه المسلمون منذ ثلاثين سنة" - على حد تعبير الأزدي -^(٥٣). وفي طريق عودته إلى حلب عرج على أذنة وبقي فيها بعض مدة من الزمن تفقد

خلالها أحوال أهلها وتحصيناتها، وحضر عنده أثناء مقامه بها حاكم طرسوس، فخلع عليه وزوده بما يحتاج إليه من المؤن والعتاد والمال^(٥٤)، حيث كانت مدينته قد تعرضت في السنة ذاتها لهجوم بيزنطي خاطف^(٥٥).

وعندما انغمس الحمدانيون في حروبهم الداخلية^(٥٦). اهتبل البيزنطيون الفرصة وعاودوا مهاجمة مدن الثغور، وذلك منذ بداية النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وذلك لكي لا تبقى شوكة في ظهره عندما يبدأ مشروعه الصليبي الرامي إلى السيطرة على مدن الشام وخاصة مدينة حلب التي كانت مقراً لحكم الأسرة الحمدانية في شمال الشام، ومن ثم النفاذ منها إلى بقية المدن الشامية، حتى ينتهي به المطاف في مدينة بيت المقدس، يزكى ذلك ما تواتر ذكره في المصادر من أن نقفور عندما تسلم طرسوس، صعد منبرها وخطب من حوله من رجال قائلاً: "أين أنا" فقالوا على منبر طرسوس، فقال لا: ولكني على منبر بيت المقدس، وهذه كانت تمنعكم من ذلك"^(٥٧).

وكان أول هجوم بيزنطي تعرضت له أذنة، هو ما حدث سنة ٣٥١هـ/ ٩٦٢م، عندما عقد نقفور فوقاس العزم على مهاجمة حلب، حيث باغت مدن الثغور الشامية بهجوم مفاجئ، لضمان عدم تدخلها إبان هجومه على حلب، إلا أن ذلك لم يمنع سكان هذه المدن من مشاركة سيف الدولة الدفاع عنها، وعندما اضطر نقفور للانسحاب عن حلب، عرج في طريق عودته على مدن الثغور وعاقبها بشن هجوم خاطف عليها وذلك في أوائل ذي الحجة من السنة ذاتها^(٥٨).

أما الهجوم البيزنطي الثاني على أذنة فكان في سنة ٣٥٣هـ/ ٩٦٤م، جراء المساعدة التي قدمها أهل أذنة لجارتهم المصيصة، عندما تعرضت لهجوم بيزنطي قاده الدمستق حنا الشمقيق Jon Tzimisces^(٥٩). إذ شن الدمستق هجوماً سريعاً على أذنة أحرقت خلاله رستاقها، وذلك قبيل انسحابه عن المصيصة متذرعاً بقلعة العلوقة

وشدة الغلاء، ولم ينس أن يُطلق تهديداته إلى أهل أذنة والمصيصة وطرسوس، حيث أخبرهم بأن رحيله عنها سيكون مؤقتاً، وطالبهم بإخلائها، وتوعد من سيجده بداخلها بالقتل، عندما يعاود مهاجمتها^(٦٠)، كما أخذت قواته تخرب الأراضي الزراعية المحيطة بالمدن الرئيسة في المنطقة مثل طرسوس وأذنة والمصيصة حتى اشتد الغلاء بالثغور، حتى لم يقدر أحد على الخبز وأكل الناس الرطبة والحشيش^(٦١). وكان هذا الإجراء يتم وفق خطة محكمة انتهجها البيزنطيون في تلك المدة في حربهم ضد المسلمين، قامت على أساس تضيق الخناق عليهم إقتصادياً في المدن التي يريدون مهاجمتها ليسهل عليهم السيطرة عليها^(٦٢).

وعندما شن نقفور هجومه الكاسح لاستئصال شأفة الحمدانيين، الذين شغلوا بيزنطة على مدى عشرين سنة كاملة - بعد أن أقام بقيساريه مدة من الزمن يتلمس أخبار الثغور ويضع الخطط التي تكفل له النجاح في السيطرة عليها، حيث قسم جيشه إلى ثلاثة أقسام، قسم إلى الشام، وثنان إلى الثغور وثلث إلى ميفارقين^(٦٣).

كانت أذنة أولى مدن الثغور الشامية التي تعرضت لهذا الهجوم، إذ يبدو أن نقفور اختار أن يبدأ بها بحكم أنها كانت تضم المقر الرئيس لولاية الثغور - كما سبق، وأن أشرنا^(٦٤). - حيث اقتحمها نقفور بجيوشه في ذي الحجة من السنة نفسها فاستنجد أهل أذنة بسكان طرسوس وغيرها من مدن الثغور، فجاءوهم في خمسة عشر ألف فارس وراجل، فخرجوا للقاء الجيش البيزنطي، واشتد القتال بين الطرفين، ورجحت في البداية كفة أهل أذنة ومن ناصرهم وأجبروا البيزنطيين على التقهقر أمامهم "وركب المسلمون أقفيتهم واتبعوهم" كما تعرضوا أثناء تقهقرهم لكمين ألحق بهم خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، إلا أن ميزان القوى ما لبث أن تحول لصالح البيزنطيين بعد أن تكاثرت جموعهم حول أذنة، فاقحموا أسوارها وسيطروا عليها^(٦٥). وهرب من سلم من أهل أذنة إلى المصيصة^(٦٦).

وهنا تجلت الروح الصليبية لدى نقفور الذي أطلق لعسكره العنان لنهب المدينة والعبث بمحتوياتها بما في ذلك مقدسات المسلمين بأذنة وغيرها من المدن التي استولى عليها لاحقاً، حيث أحرق جوامعها ومساجدها، وما كان بها من مصاحف وحول بعضها إلى اصطبلات^(٦٧). كما أمر نقفور باقتلاع البوابات البرونزية الضخمة التي كانت تزين مداخل المدن الثلاث الكبرى طرسوس وأذنة والمصيصة. وأمر رجاله بحملها إلى العاصمة، حيث نصبت في أحد جنبات القسطنطينية وجعلها رمزاً لانتصاراته التي حققها ضد خصومه^(٦٨).

والذي يجدر ذكره هنا أن المفسر والمؤرخ ابن كثير رحمه الله، أرجع تلك الهزائم المشينة التي مُني بها المسلمون في مدن الثغور الشامية وإقليم قيليقية عامة، أمام جيوش الإمبراطور البيزنطي نقفور وخليفته حنا تزيكس، الشمشقيق ٣٥٨-٣٦٥هـ / ٩٦٩-٩٧٦م). "لتقصير أهل ذلك الزمان، وظهور البدع الشنيعة فيهم، وكثرة العصيان من الخاص والعام منهم، وفشو البدع فيهم، وكثرة الرفض والتشيع فيهم، وقهر أهل السنة بينهم"^(٦٩).

ورغم هذا النصر الذي تحقق للروم البيزنطيين في المناطق وذلك جراء ما اعترى الوجود الإسلامي بها من ضعف وتفكك وأثرة وحب ذات. فإنه يمكننا القول: أن الإمبراطور نقفور - بقصد أو بغير قصد - مهد السبيل لبزوغ نجم كيان نصراني أرمني جديد في هذه المناطق. وذلك أنه عندما فرغ من تعمير مدن الثغور وعلى رأسها أذنة وطرسوس والمصيصة، فتح الباب على مصراعيه للنصارى الأرمن بالتواجد فيها، للاستعانة بهم في حروبه المستقبلية على مدن الشام، وليكونوا درعاً واقياً لصد هجمات المسلمين على ذات المناطق فيما لو انشغل بأمور داخلية في دولته. وهذا ما تحقق فعلاً فقد كان للأرمن دور فاعل فيما تحقق لنقفور وخليفته حنا تزمسكس في بلاد الشام^(٧٠).

استمر ولاء الأرمن النصارى في هذه المناطق لأباطرة بيزنطة ردحاً من الزمن، وذلك حتى مطلع النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. وتحديداً حتى عصر الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع ديوجينيوس (٤٦١-٤٦٣ هـ / ١٠٦٨-١٠٧١ م) فرغم أن هذا الإمبراطور، وثق بالأرمن وعين زعيمهم فيلارتوس حاكماً على مدينة مرعش. إلا أنه على إثر أسره في معركة ملاذكرد الشهيرة سنة ٤٦١ هـ / ١٠٧١ م) وقيام البيزنطيين بعزله واستبداله بميخائيل السابع دوقاس (٤٦٣-٤٧١ هـ / ١٠٦٧-١٠٧٨ م) رفض فيلارتوس الاعتراف به، وزاد على ذلك بأن أعلن استقلاله بحكم تلك المناطق عن بيزنطة، وعزز وجوده بانتزاع الرها منهم سنة ٤٧٠ هـ / ١٠٧٧ م) كما سلمه في السنة ذاتها أهل أنطاكية مدينتهم خوفاً من سيطرة السلاجقة عليها^(٧١).

ويبدو أن ما لحق ببيزنطة من ضعف على المستويين الداخلي والخارجي - جراء الضربة الموجهة التي لحقت بها بعد هزيمتها النكراء في معركة ملاذكرد، فضلاً عما تحقق لفلارتوس من توسع في المنطقة - دفع الإمبراطور البيزنطي الجديد نفقور بونتياثس (٤٧١-٤٧٤ هـ / ١٠٧٨-١٠٨١ م) إلى إبقاء فلارتوس حاكماً على ما بيده من البلاد، مقابل اعترافه بسيادة بيزنطة الاسمية عليها^(٧٢).

وختاماً فالذي - يبدو - أن أذنة وغيرها من مدن قليقية، غدت ميداناً للتنافس بين قوى ثلاث هي بيزنطة صاحبة الهيمنة الاسمية، والأرمن النصارى أصحاب الهيمنة الفعلية، ومحاولات سلجوقية لاستعادتها، واستمر الوضع على هذا المنوال، حتى وصول جموع الحملة الصليبية الأولى إلى الإقليم سنة (٥٩١ هـ / ١٠٩٧ م)، حيث تنافس اثنان من كبار قادتها على الظفر بحكمها، وهما بلدوين البولوني، وتانكرد النورماني، وبعد مد وجزر بين الطرفين، بادر بلدوين بالانسحاب عنها حيث توجه إلى الرها، مفسحاً المجال لتانكرد في التحكم فيها وليواجه بمفرده المطالبات

البيزنطية بتبعيتها لها، مع وجود أطماع أرمنية بإقامة كيان سياسي لها في المنطقة. ولكن وبعد أن تحركت جموع الحملة الصليبية من هذه المناطق قاصدة أنطاكية، قرر تانكرد التخلي عن أطماعه فيها وتوجه صحبة قادة الحملة إلى أنطاكية. لتستمر أذنة وغيرها من مدن إقليم قيليقية محافظة على تبعيتها الاسمية لبيزنطة، وخضوع فعلي للأرمن، أفضى في نهاية المطاف إلى تكوين إمارة لهم في هذه المناطق، تحولت لاحقاً إلى كيان مستقل، عُرف بمملكة أرمينية الصغرى^(٧٣).

الهوامش والتعليقات:

- (١) ياقوت، معجم البلدان، ج ١، ص ١٣٢.
- (٢) المسالك والممالك، ص ٩٠، وهي مدينة أذنة الحالية في تركيا (انظر البلاذري، فتوح البلدان، حاشية المحقق رقم ٣ ص ١٩٧).
- (٣) انظر بغية الطلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ١٥٥، ٣٢٢، أما المسعودي فيذكر في كتابه أخبار الزمان، ص ٩١، أن أرمينية وما جاورها حتى الأيواء، كانت في قسم، "ولد يافث" بن نوح عليه السلام.
- (٤) انظر، ابن العديم، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٩، ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٦٨، شيخ الربوة، نخبة الدهر في وقائع الدهر، ص ٢٨٢، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ص ٢٤٩، المسعودي، التنبيه والإشراف، ص ٤٥٨، ياقوت، المشترك لفظاً المختلف صقلاً، ص ٢٦٤، والمصيصة Mamistra: إحدى مدن الثغور، عبارة عن مدينتين يفصل بينهما نهر جيحان، فعلى الجانب الغربي منه المصيصة، والشرقي كفربيا، وتسمى بغداد الصغيرة لأنها كانت جانبيين على النهر "انظر ابن العديم، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥٣-١٥٦، ابن شاهين، زبدة كشف الممالك، ص ٥٠. وطرسوس Tharsis: مدينة قديمة من أجل مدن الثغور الشامية" بها كان يقوم سوق الجهاد، وينزلها الصالحون والعباد، ويقصدها الغزاة من سائر البلاد (انظر ابن العديم المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٥، كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٦٣، ١٦٢.
- (٥) عليه الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية على الحدود الدولة البيزنطية، ص ٥٤.
- (٦) الاضطخري، المصدر نفسه، ص ٤٧، ابن حوقل، صورة الأرض، ق ١، ص ١٦٨، ابو الفداء، نفسه، ص ٢٤٩.
- (٧) حسنين ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ص ٨٥.
- (٨) انظر المصدر نفسه، ص ١٩٧.
- (٩) انظر الطبري، تاريخ الأمم والملوك.

- (١٠) ذكر اليعقوبي في تاريخه، ج٢، ص، أن ذلك كان سنة ٨٣هـ، بينما تكاد تجمع بقية المصادر على أن فتحها كان في هذه السنة (انظر على سبيل المثال، الطبري، المصدر نفسه، ج٦، ص ٣٨٥، ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٩٤، ٩٥).
- (١١) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٧٢-١٧٣.
- (١٢) مشتقة من الفعل اليوناني القديم (Eiko) بمعنى أشبه أو أمثل والاسم (Eikon) ومعناه صورة مقدسة، أما محطم الصور فيطلق عليه لايقونى (Iconoclast) بينما يطلق على التمسك بعبادة الصور ايقونى (Iconodule)، أما الصور الدينية المقدسة فتسمى (Iconoclasm). انظر حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ١٠٢.
- (١٣) للوقوف على فحوى النزاع المرير الذي احتدم في بيزنطة بين مناهضي عبادة الصور المقدسة والمدافعين عنها، انظر حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ١٠٢-١٠٣، جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٢٣-١٤٢، اسمت غنيم، تاريخ الامبراطورية البيزنطية، ص ٥١-٦٠، محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١١٣، ١١٢.
- (١٤) أنظر تاريخ الأمم والملوك، ج٨، ص ١٥٢، وانظر أيضا ابن الاثير، المصدر نفسه، ج٥، ص ٦٥.
- (١٥) أنظر عبد الله الغامدي، ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩م، ص ٢١٥.
- (١٦) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٧٢. ١٧٣، وانظر أيضا، ابن العديم، المصدر نفسه، ج، ص ١٧٠.
- (١٧) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٧٣، ١٧٤.
- (١٨) الطبري، المصدر نفسه، ج٨، ص ٣٠٧.
- (١٩) عندما نجح نقفور في الإطاحة بإيرين ونفيها، كتب إلى الرشيد، من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب: أما بعد فإن الملكة التي كانت قبلي، أقامتك مقام الرّخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها، لكن ذلك ضعف

النساء وحقهن. فإذا قرأت كتابي فارد ما حصل قبلك من أموالها، واقتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك. فلما قرأ الرشيد الكتاب، دعا بدواة وكتب على ظهره "بسم الله الرحمن الرحيم" من هارون أمير الروم إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا بن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه والسلام." للوقوف على المزيد انظر: يوسف الغش، تاريخ عصر الخلافة الراشدة، ص ٨٠-٨٣.

(٢٠) الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٢١) البلاذري، المصدر نفسه، ص ١٧٣، ابن العديم، المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧٠.

(٢٢) ابن العديم المصدر نفسه، ج ١، ص ١٧١.

(٢٣) الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ن ص ٦٢٥، الذهبي، دول الإسلام، ص ١١٧، ابن أعثم، الفتوح، ج ٣، ص ٤٥٢-٤٥٥.

(٢٤) الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٦٢٧، ٦٢٨.

(٢٥) انظر نص كتاب ثيوفيل، ورد المأمون عليه في الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٦٢٩، ٦٣٠.

(٢٦) عندما نما إلى المأمون رفض ثيوفيل لما تضمنه كتابه، عاود الخروج على رأس جيش لغزو أقاليم بيزنطة في آسيا الصغرى، وعندما وصل إلى عين "البندندون" شرب من مائها، فأصيب بحمى شديدة = كانت سبباً في وفاته (انظر، المسعودي، المصدر نفسه، ص ٣٥١، الطبري، المصدر نفسه، ج ٨، ص ٦٤٦، ٦٤٧).

(٢٧) الطبري، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥٦، وإلى جانب هذا النص فإن مما يؤكد اشتراك أهل أذنة مع غيرهم من سكان مدن الثغور الأخرى، أن الخروج للجهاد يكون فرض عين على كل مسلم قادر، وذلك في حالة هجوم العدو على بلاد المسلمين، أو الإعتداء على مقدساتهم وحرمتهم، أو التقاء الجمعان (انظر محمد بن ناصر الجعوان، القتال في الإسلام، أحكامه وتشريعاته، ص ٢٤-٢٩).

(٢٨) الطبري، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٥٧، وبنكها هو أساسها بدليل أن النص ورد عند فازيليف "عين المسيحية وأساسها" انظر، العرب والروم، ص ١٣١، وللوقوف على تفصيلات هذه

- الحملة، انظر المصدر نفسه، ص ٥٧-٧٠، المسعودي، المصدر نفسه، ص ٣٥٤، ابن العمراني، الإنشاء في تاريخ الخلفاء، ص ١٠٥، ١٠٦، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٨٥، ٢٨٦، فازيليف، المرجع نفسه، ص ١٣٠-١٥٧.
- (٢٩) انظر، ابن طباطبا، الفخري في الآداب السلطانية، ص ٢٣٦.
- (٣٠) الكامل، ج ٥، ص ٢٧٥.
- (٣١) نادية حسني صقر، السلم في العلاقات العباسية البيزنطية، في العصر العباسي الأول، دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله، ص ٢٥، ٢٦.
- (٣٢) انظر خليفة بن خياط، تاريخه، ص ٤٨٠، الطبري، المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٣٢، ابن الاثير، المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٧٥، ابن كثير، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٣٠٣.
- (٣٣) للوقوف على حقيقة الأوضاع الداخلية لكلا الدولتين خلال هذه الحقبة الزمنية، انظر، نادية حسني صقر، المرجع نفسه، ص ٢٩ وما بعدها، فازيليف، المرجع نفسه، ص ١٦٩.
- (٣٤) ذكر فازيليف، أنه رغم فتور دور الخلافة في حركة الغزو ضد أراضي بيزنطة في آسيا الصغرى، فإن أمير الشام والجزيرة وهو أبو سعيد محمد بن يوسف قد اضطلع بذلك الدور فغزا "أرض الروم مرات، ومعه بشير أمير المصيصة" أنظر المرجع نفسه، ص ١٥٥، ١٥٦.
- (٣٥) ابن خلدون، تاريخه، ج ٣، ص ٣٣٧، ٣٣٨.
- (٣٦) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٨.
- (٣٧) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٨.
- (٣٨) هو الذي يعرف اليوم بنهر قره صو أي النهر الأسود (انظر، البلوي، سيرة أحمد بن طولون، ص ٣١١، حاشية المحقق).
- (٣٩) انظر البلوي، المصدر نفسه، ص ٣١٠-٣١٥، وانظر أيضا الطبري، المصدر نفسه، ج ٩، ص ٦١٣، ٦١٤، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٥٠.
- (٤٠) انظر ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٨.

- (٤١) الطبري، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ١٨، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٦، ص، ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ١، ص ٨٤.
- (٤٢) وردت عند ابن الأثير على أنها شكند" (انظر، ج ٦، ص ٧١)، وعند ابن خلدون "أسكند" (انظر، ج ٤، ص ٣٠٧)، ولم أقف لها على تعريف.
- (٤٣) الطبري، المصدر نفسه، ج ١٠، ص ٢٧، ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٧١، ابن خلدون، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣٨.
- (٤٤) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٧١، وأضاف ابن خلدون، أن ابن عجيف عاد إلى ولايته، "بدعوة خمهورية"، انظر، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٣٠٧.
- (٤٥) انظر، صابر دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، ص ١١٩، عليه الجنزوري، المرجع نفسه، ص ٤٢، ٤٣، نقلا عن أسد رستم، الروم، ج ٢، ص ٣١، The Cambridge Medieval History, vol.viv.p.140
- (٤٦) حرص الإخشيدون كغيرهم ممن حكم الأراضي المصرية على ضم الشام إلى حكمهم، إلا أنهم فوجئوا بعد مدة وجيزة من تحقيقهم الوحدة بين الشام ومصر، بانتقال فرع من البيت الحمداني إلى شمال الشام تحت قيادة سيف الدولة، وجرى صدام عنيف بين القوتين انتهى بنجاح سيف الدولة في انتزاع مدن شمال الشام من الإخشيديين، مؤسساً بذلك دولة الحمدانيين في شمال الشام حاضرتها حلب (انظر، عمر كمال توفيق، مقدمة العدوان الصليبي على الشرق العربي، ص ٤٦٢، صابر دياب، المرجع نفسه، ص ١٢٨، ١٢٩).
- (٤٧) ابن ظافر الأزدي، أخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب وديار بكر والثغور، ص ٢٤.
- (٤٨) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٣، ص ٢٩٣، ٢٩٤.
- (٤٩) ابن ظافر الأزدي، المرجع نفسه، ص ٢٤.
- (٥٠) انظر، معجم البلدان، ج، ص ٨٠.
- (٥١) لمزيد من التفصيلات، انظر، صابر دياب، المرجع نفسه، ص ١٢٨-١٣٨.

- (٥٢) انظر المصدر نفسه، ص ٣٥.
- (٥٣) الأزدي، المصدر نفسه، ص ٣٦، وانظر أيضا، يحيى الأنطاكي، تاريخه، ن، ص ١١٤، ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٢٦، ١٢٧.
- (٥٤) ابن الاثير، المصدر نفسه، ج ٦، ص ٣٥١.
- (٥٥) الذهبي، المصدر نفسه، ص ١٩٢.
- (٥٦) انشغل سيف الدولة بمواجهة بعض الثورات الداخلية منها: ثورة نجا الكاسكي في خلاط وميافارقين، ومروان العقيلي القرمطي متولي السواحل الذي قاد ثورة عارمة ضد سيف الدولة بحمص واستقل بحكمها، إضافة إلى تمرد أهل أنطاكية على سيف الدولة بتحريض من رشيق النسيمي حاكم طرسوس السابق لجأ إلى أنطاكية بعد أن سلم مدينته إلى نقفور فوقاس".
- للقوف على مزيد من التفاصيل، انظر يحيى الأنطاكي، المصدر نفسه، ص ١٢٣، أحمد عدوان، الدولة الحمدانية، ص ٢٨١-٢٨٥، سيد أحمد الناصري، الروم والمشرق العربي، ص ٣٢٩.
- (٥٧) ابن العديم، زبدة الحلب، ج ١، ص ١٤٣، تمة المختصر، المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٣٤.
- (٥٨) للقوف على تفاصيل الهجوم البيزنطي على حلب وظروف انسحابه منها، انظر، صابر دياب، المرجع نفسه، ص ٧٥-١٦٩، أحمد عدوان، المرجع نفسه، ص ٢٧٢-٢٧٣.
- (٥٩) انظر، عبد الله الغامدي، ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري، بحث منشور بمجلة المؤرخ المصري، العدد الثاني والعشرون يوليو ١٩٩٩م، ص ٢٢١.
- والدمستق: لقب كان يطلق على النائب البيزنطي في الأقاليم التي تقع شرقي خليج القسطنطينية (انظر: أبو الفدا، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٣، عليه الجنزوري، المرجع نفسه، ص ٤٣، حاشية رقم ٤).
- (٦٠) ابن الأثير، المصدر نفسه، ج ٧، ص ٩، ابن العديم، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤١، ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٦٣، الذهبي، المصدر نفسه، ص ١٩٦، ابن كثير، المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٥٣، مسكويه، تجارب الأمم، ج ٢، ص ٢٠٣.

- (٦١) مسكوية، المصدر نفسه، ص ٢٠٣.
- (٦٢) عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، ص ١٥٠.
- (٦٣) ذكر مسكويه في المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢١٠، أن نقفور ابنتى بقيسارية مدينة سنة ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م، فأقام بها ونقل إليها عياله "ليقرب عليه ما يريد من بلاد الشام".
- (٦٤) انظر ما سبق. ص ٥
- (٦٥) انظر، مسكوية، المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٠٢، فائز نجيب اسكندر، أرمنية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة في مصنف أريستاكيس اللستيفري، ص ٢٨.
- (٦٦) يحيى الأنطاكي، المصدر نفسه، ص ١٢٢.
- (٦٧) أبو الفداء، المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٠، ابن الوردي، المصدر نفسه، ج ١، ٤٣٣، ٤٣٤، ياقوت، المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢٨.
- (٦٨) أنظر جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية ١٦٦.
- (٦٩) أنظر، البداية والنهاية، ١١، ٢٤٣..
- (٧٠) لمزيد من التفصيلات أنظر، حسنين ربيع، المرجع نفسه، ص ١٥٨، ١٥٧. عمر كمال توفيق، المرجع السابق، ص ١٥٣ وما بعدها.
- (٧١) أنظر، ستيفن رانسيان، تاريخ الحروب الصليبية، ج ١، ص ١٢٤، ١٢٣.
- (٧٢) رنسيان، المرجع نفسه، ج ١، ١٢٤.
- (٧٣) للوقوف على تفصيلات ذلك، انظر، سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج، ص. المماليك ومملكة أرمنية الصغرى، ضمن كتاب، بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى. عبدالله الغامدي، سياسة المماليك إزاء ميناء أياس الأرمني، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ١٩.

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- ابن الأثير (علي بن أبي الكرم بن محمد الشيباني، ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) الكامل في التاريخ، ط بيروت، سنة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ابن أعثم (أحمد بن أعثم الكوفي) الفتوح، تحقيق: سهيل زكار، الطبعة الأولى، بيروت، سنة ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.
- ابن تغري بردي (جمال الدين أبي المحاسن، الأتابكي، ت ٨٤٧هـ / ١٤٧٠م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ط القاهرة سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- ابن حوقل (أبو القاسم، بن حوقل النصيبي، ت... صورة الأرض، ط، بيروت، سنة ١٩٧٩م.
- ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله، ت حوالي سنة ٣٠٠هـ / ٩١٣م، المسالك والممالك، تحقيق محمد مخزوم، ط بيروت، سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد/ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) العبر وديوان المبتدأ والخبر، في تاريخ العرب والبربر، ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر/ ط بيروت ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م.
- ابن خياط (خليفة بن خياط بن أبي هبيرة، ت ٢٤٠هـ) تاريخ خليفة بن خياط، ط، تحقيق أكرم ضياء العمري.
- ابن شاهين (غرس الدين خليل) زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، عني بتصحيحه: يولس راويس، ط باريس سنة ١٩٨٤م.
- ابن شداد (عزالدين أبي عبدالله محمد بن علي الحلبي، ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م، الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، تحقيق: سامي الدهان، ط دمشق ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م.
- ابن طباطبا (محمد بن علي) الفخري في الآداب السلطانية، ط القاهرة، ١٣٤٥هـ / ١٩٢٧م.
- ابن ظافر الأزدي (علي بن ظافر، ت ٦٢٣هـ / ١٢٢٦) اخبار الدولة الحمدانية بالموصل وحلب و ديار بكر والثغور، تحقيق تيممة الرواف الطبعة الأولى سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م.
- ابن العديم (كمال الدين عمر ابن احمد بن هبة الله، ت ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م)

- ١- بغية الطلب بتاريخ حلب، تحقيق سهيل زكار ط دمشق سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٢- زبدة الحلب في تاريخ حلب، تحقيق سامي الدهان، ط دمشق سنة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١م.
- ابن العمراني (محمد بن علي بن محمد، ت في حدود سنة ٥٨٠هـ / ١١٨٥م) الأبناء في تاريخ الخلفاء، تحقيق ودراسة وتقديم: قاسم السامرائي، ط الرياض ١٩٨٢م.
- ابن كثير (ابو الفدا الحافظ ابن كثير، ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٦م) البداية والنهاية، ط بيروت سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- ابن مسكويه (ابو علي احمد بن محمد، ت ٤٢١هـ / ١٠٣٠م) تجارب الامم، ط مصر سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٥م.
- ابن الوردي (زين الدين عمر، ت ٧٤٩هـ / ١٣٨٤م) تمة المختصر في اخبار البشر، ط النجف سنة ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.
- ابو الفدا (عماد الدين اسماعيل، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) المختصر في اخبار البشر، ط بيروت، بدون سنة طبع.
- الاصطخري (ابن اسحاق ابراهيم ابن محمد الفارسي، ت في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري / العاشر ميلادي) المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، ومراجعة محمد شفيق غربال، ط القاهرة سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.
- الأنطاكي (يحيى بن سعيد) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي، صنفه تبعاً لتاريخ سعيد بن البطريق، الموسوم بـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ط بيروت، سنة ١٩٠٥م.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر، ت حوالي ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) فتوح البلدان، عني بمراجعته، والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، ط بيروت، سنة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- البلوي (أبو محمد عبدالله بن محمد الديني، عاش في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي) سيرة أحمد بن طولون، تحقيق: محمد كرد علي، ط القاهرة، بدون سنة طبع.
- الذهبي (الحافظ شمس الدين، ت ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م) دول الإسلام، ط بيروت، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

- شيخ الربوة (شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أبي طالب الدمشقي، ت ٧٢٣هـ / ١٣٢٧م) نخبة المهر في عجائب البر والبحر، ط بيروت ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- الطبري (محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط بيروت، سنة ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
- المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين، ت ٣٤٦هـ / ٩٥٧م)
 - ١- تاريخ الزمان، ط، دار الأندلس.
 - ٢- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٩٥٧م.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبدالله الرومي، ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م)
 - ١- كتاب المشترك وضعاً المفترق صقعا، الطبعة الثانية، بيروت، سنة ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
 - ٢- معجم البلدان، ط بيروت، سنة ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح، ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) تاريخ اليعقوبي، ط النجف، سنة ١٣٥٨هـ.

ثانياً: المراجع العربية والمترجمة.

- أحمد عدوان، الدولة الحمدانية، الطبعة الأولى، ١٩٨١ سنة م.
- اسمت غنيم: تاريخ الدولة البيزنطية، ط الاسكندرية، سنة ١٩٨٧م.
- جوزيف نسيم يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية، ط الاسكندرية، سنة ١٩٨٤م.
- حسنين محمد ربيع، دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط القاهرة، سنة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م.
- سعيد عبدالفتاح عاشور، ١- الحركة الصيبية، ط القاهرة، سنة ١٩٨٢م، ٢- كتاب بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى، ط بيروت ن سنة ١٩٧٧م.
- سيد أحمد الناصري، الروم والشرق العربي، ط القاهرة، سنة ١٩٩٣م.
- صابر محمد دياب، المسلمون وجهادهم ضد الروم في أرمينية والثغور الجزرية والشامية خلال القرن الرابع الهجري، ط المطبعة التجارية الحديثة، سنة ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

- عبد الله بن سعيد الغامدي،
- ١- ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري، بحث منشور في مجلة المؤرخ المصري، التي يصدرها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة القاهرة، العدد ٢٢، يوليو سنة ١٩٩٩م.
- ٢- سياسة المماليك إزاء ميناء أياص الأرمني، بحث منشور في مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، العدد ١٩، سنة
- علية عبدالسميع الجنزوري، الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطى، ط القاهرة، سنة ١٩٧٩م.
- عمر كمال توفيق، مقدمات العدوان الصليبي على الشرق العربي الامبراطور البيزنطي، حنا تريمسكس وسياسته الشرقية، ط الاسكندرية، سنة ١٩٦٧م.
- فازيليف، العرب والروم، ترجمة محمد عبدالمهدي شعيرة، وفؤاد حسنين علي، ط دار الفكر العربي.
- فايز نجيب اسكندر، البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد في مصنف نقفور برينيوس، ط الاسكندرية، سنة ١٩٨٤م.
- كي لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، ط بيروت، سنة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- محمود سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية، مدخل لدراسة التاريخ السياسي والحربي، ط بيروت ن سنة ١٩٨١م.
- نادية حسني صقر، السلم في العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول، دراسة تحليلية لعهد الخليفة الواثق بالله، ط القاهرة.
- محمد بن ناصر الجعوان، القتال في الإسلام، أحكامه وتشريعاته، ط الرياض، سنة، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- يوسف العث، تاريخ عصر الخلافة العباسية، ط دمشق، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.